السنة الثانية ليسانس دراسات لغوية

المحاضرة الثانية: النقد البنيوي

1- مفهوم البنيوية Structuralisme

يرجع مفهوم البنيوية إلى معنى البنية، وهي مشتقة من الفعل اللاتيني (struere)، أي بنى ،الذي يأخذ معنى الهيئة ،أو الكيفية التي يوجد الشيء عليها ،وإذا كانت البنية في اللغة العربية تعني ما هو أصيل فيه وجوهري وثابت، لا يتبدل بتبدل الأوضاع والكيفيات ،فإن البنيوية عند روبرت شولز) Robert Sholes) هي طريقة بحث في الواقع، وليس في الأشياء الفردية، بل في العلاقات الداخلية بينها. [1]

فبنية الشيء إذن، تكمن في اجتماع جزئياته الفردية بعضها مع بعض، مكونة في النهاية نظاما من العلاقات المترابطة فيما بينها، وعليه فإن التحليل البنيوي ينطلق من فكرة التركيز على مفهوم العلاقات والازدواج والتداخل والتعارض والتجاور والانفصال والاتصال...الخ، وبذلك تبرز كأكبر تحول نقدي يتأسس على تحليل لا يقف عند حد الوصف والرصد الإحصائي لخصائص النص اللغوي) الأدبي)، وإنما هو تحليل نقدي يتأسس على أربعة منطلقات تتمثل في:

1- استكشاف البنى الداخلية اللاشعورية المكنونة للظاهرة.

2- تعالج البنيوية العناصر بناء على (علاقاتها) ولا تمثل وحدات مستقلة.

3- تعتبر الأنظمة من مرتكزاتها الأساسية.

4- تسعى إلى إقامة قواعد عامة عن طريق الاستنتاج أو الاستقراء، وذلك لتؤسس الخاصية المطلقة لهذه القواعد[2].

وإذا كانت هذه القواعد من مرتكزات البنية، فإن هذه الأخيرة تعد من أهم محاور المقاربة البنيوية، لأنها كما أشار "جان بياجيه " تتميز بميزات ثلاث تتمثل في :الكلية (الشمولية)، والتحولات ،والضبط الذاتي.

فإن رجعنا إلى مفهوم الكلية، فإن الأعمال الأدبية برمتها تمثل أبنية كلية لأن دلالتها في الدرجة الأولى ترتبط بهذا الطابع الكلي لها، ومثال ذلك البنية الدلالية للقصيدة الشعرية، التي تمثل محصلة مجموعة من البنى المتمثلة في البنية الإيقاعية والبنية التركيبية والتعبيرية و التخييلية[3].

---

[1] - ينظر: بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية، دار الفجر للطباعة والنشر، قسنطينة ، الجزائر، ط1، 1428ه/2006م، ص 10.

[2] - ينظر، عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006، ص 39-40

[3] - ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2013، ص 77-78.

أما ما يقصد بالتحويلات(Transformation) أن البنية ليس ساكنة، بل تخضع لتحويلات داخلية ،سبيلها في ذلك سبيل الأرقام؛ فالمجاميع الكلية تنطوي على ديناميكية ذاتية، تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنية التي تحدث داخل المنظومة[4].

وأما الضبط الذاتي (Auto-reglage) ويدل على أن للبنية القدرة على تنظيم نفسها مما يحفظ لها وحدتها، ويضمن لها البقاء، ويحقق شكلا من الانغلاق الذاتي، والبنية بهذا التصور لا تحتاج إلى سلطان خارجي لتحريكها ،«والجملة لا تحتاج إلى مقارنتها مع أي وجود عيني خارج عنها، لكي يقرر مصداقيتها وإنما تعتمد على أنظمتها اللغوية، الخاصة بسياقها اللغوي»[5].

2- الدراسات اللسانية ودورها في التأسيس للنقد البنيوي:

إذا كانت البنيوية ظهرت في الستينيات على يد مجموعة من النقاد الغربيين ،فإن أفكار (دي سوسير)، تمثل المنطلق الأول لتوجهات نقدية بنيوية، وذلك من خلال جملة من المبادئ التي كان يمليها على طلبته في الدراسات اللغوية بجنيف، منها: ثنائية **اللغة والكلام** ،حيث رفض النظرة التقليدية ذات الطابع المورفولوجي للغة، ومناداته بالعلاقات؛ إذ يرى ضرورة دراسة اللغة بطريقة جشتالتية كلية؛ أي حقلا موحدا ونظاما مكتفيا بذاته، ولا تدرس بموجب أجزائها الفردية ،ويعني هذا التصور أن اللغة بنية كلية، شمولية متحكمة بذاتها ومنغلقة على نفسها.

فثنائية اللغة والكلام لدى "سوسير" هي معادل موضوعي لما يسمى بالأبنية أو النظم اللغوية.

أما الثنائية الثانية تتمثل في: **المحور التاريخي والمحور التزامني**، فالأول تطوري، يعُنى بدراسة الظواهر عبر مسارها وصيرورتها الزمنية وتحولاتها المختلفة ،أما الثاني التزامني وصفي، يهتم بتحليل نظام الظواهر في لحظة زمنية معينة، دون الاعتبار لتاريخها سواء أكان ذلك سابقا أم لاحقا؛ وهذان المحوران يطبقان بعد ذلك في الدراسات التاريخية والوصفية[6].

وإذا كان من خصائص النقد البنيوي دراسة النص الأدبي كونه سياق لغوي، فإن جل اهتمامه ينصب على كشف القيم الجمالية المتمحورة من حول النص المنقود؛ وعلى هذا الأساس استعارت المفهوم السوسيري في رفضه للدراسة التاريخية والتركيز على كل ما هو آني وصفي.

3/ المدارس التي أسهمت في تشكيل الفكر البنيوي (الروافد):

3-1- الشكلانيون الروس (البنيوية الشكلانية) 1915-1930:

هناك من ينعتها بالبنيوية السوفياتية، نظرا للعلاقة الوطيدة بين الشكلانية والفكر البنيوي؛ إذ تطلق هذه التسمية (الشكلانيون الروس) على اجتماع تجمعين علميين روسيين هما: حلقة موسكو

---

[4] - ينظر: بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص12.

[5] - بشير تاوريريت، المرجع نفسه، ص12.

[6] - ينظر: صلاح فضل،مناهج النقد المعاصر، ص70

(1915–1920) بزعامة "جاكسبون" الذي أسس (النادي اللساني) مع طلبته الستة، من بينهم بيوتربوتا–غريف (B-Boyatyrew) وغروغوري فينوكور (G.Vinokour) وتوماشفسكي (B.Tomashevesky)، وميخائيل باختين (M.Bakhtine) ، فكانت هذه الحلقة تهتم بماهية الشكل وكذا الشعرية واللسانيات ومفهوم الأدبية، أما **جماعة الأوبوياز opojaz** (1916) فهي تعني (جمعية دراسة اللغة الشعرية) تأسست في سان –بترسبورغ، تظم من الأعضاء فيكتور شكلوفسكي (V.chklovessky) و ايخنباوم (B.Eichenbaum) وليف جاكوبنسكي (L.jakubinsky) على أن هذه الجماعة تتكون من جماعتين منفصلتين: دراسي اللغة المحترفين وباحثين في نظرية الأدب[7].

وبالرجوع إلى تسمية هذا الاتجاه (الرافد) بالشكلانيين نجد أن خصوم هؤلاء هم من أطلقها استنقاصا واحتقارا للمسار الذي اتخذته جملة من النقاد الذين ركزوا في دراستهم على الأعمال الأدبية في جانبها الشكلي والتركيب البنائي الداخلي، في حين نجدهم ينادون بـ (التمييزيون) أو (المورفولوجيون) كتسمية لائقة بهم.

هذا ويقوم الاتجاه الشكلاني على جملة من المبادئ أو المميزات تتمثل في التركيز على استقلال الأدب عن الواقع؛ أي أن «الأدب منتج له خصوصيته المستقلة»[8]. وذلك على اعتبار أن النقد الشكلاني نقد لغوي محض، يستهدف الإحاطة بمستويات النص النحوية والصرفية والصوتية والمعجمية مثلما عمل على إقصاء البعد المنهجي للرؤية النفسية والتاريخية والاجتماعية إقصاء مطلقا[9]، لأنها تابعة لعلوم إنسانية أخرى .

أيضا، من المبادئ التي نادى بها هؤلاء؛ مفهوم الشكل، فقد رفضوا رفضا مطلقا ما كانت تدعوا إليه النظرة النقدية التقليدية أن لكل أثر ثنائية متقابلة الطرفين هما الشكل والمضمون، مؤكدين أن الخطاب الأدبي يختلف عن غيره ببروز شكله[10]، بما له من دور فعال وإيجابي في تحديده للمضمون.

كما يعد التناص من المبادئ الأساسية التي نادى بها الشكلانيون الروس، الذي يدل على تفاعل نصوص بعضها مع بعض ،أو حضور نص غائب في نص حاضر، وعليه فإن النص على حسبهم يمثل بنية نسيجية تتألف من فسيفساء من النصوص أو مستويات عدة، من صرف ونحو و صوت ودلالة .

---

[7] - ينظر ، يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي، ص 66–67

[8] - وائل سيد عبد الرحمن، تلقي البنيوية في النقد العربي، نقد السرديات نموذجا، ص37

[9] - ينظر: خثير ذويبي، البنيوية والعمل الأدبي، دراسة بنيوية شكلانية) لمرثية مالك بن الريب(مطبعة موساوي، سطيف ،ط1، الجزائر ،2001، ص 34

[10] - ينظر: بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص33

2- : حلقة براغ : Cercle de prague (1926- 1948) :

وتأسست في أكتوبر (1926) بزعامة فيليم ماثيسيوس (V. Mahesus)، الذي ترأس حلقة البحث اللغة الإنجليزية بجامعة تشارلز، وذلك بمعاونة، رومان جاكبسون (R. Jakobson) وغيره من النقاد[11].

وحلقة براغ تسمى أيضا البنيوية التشيكية كونها واصلت ما أنجزه الشكلانيون الروس، وقدمت أطروحتها حول اللغة، والمناداة بمبدأ المحايثة.

3-3: جماعة تيل كيل (Tel Quel)1960:

ترجع هذه التسمية إلى مجلة تحمل التسمية نفسها، ومؤسسها الناقد الروائي فليب صولر: (Philps Sollers) متضمن مجموعة أعلام النقد الفرنسي الجديد، كجوليا كريستيفا (Julia Kristiva) ورولان بارت (Roland Barths) وميشال فوكو (Michel foucoult) وجاك دريدا (Jacques derrida)..الخ حيث انصب اهتمامها على اللسانيات والماركسية والتحليل النفسي والكثير من النظريات الجديدة في الكتابة.[12].

وإذا كان معنى (تيل كيل) بالعربية يترجم إلى " كما هو "، فإن هذا دليل على دعوتها لمبدأ استقلالية النصوص عن سياقاتها الخارجية، كما قامت بدور كبير في تنمية الدراسات السردية [13].

4.3: البنيوية التوليدية (التكوينية):

وقد تسمى بالاجتماعية الجدلية، مؤسسها لوسيان غولدمان؛ ترتكز على مبدأ أساسي خالفت فيه البنيوية الشكلانية، فلم ترفض المحيط الخارجي للبنية ، أي أن فهم النص لا يخرج عن حدوده المحيطة به ،فلم تهمل التاريخ ولم تغفله، وهذا ما جعلها تسعى إلى تحقيق وحدة ما بين الشكل والمضمون على خلاف الشكلانية التي أعطت الأولوية للشكل على حسب المضمون .

وهذا الاتجاه التكويني يقوم على أربعة مقومات أساسية، تتمثل في رؤية العالم، والفهم والتفسير، والبنية الدالة والوعي الفعلي والوعي الممكن .

4- الممارسات البنيوية العربية (تنظيرا وإجراء) :

انفتح نقدنا العربي على عالم الفكر البنيوي الغربي؛ فعرف نقلة نوعية في مسار الحركة الأدبية والنقدية فقد مثلت الساحة المصرية الدور الأكبر في تلقي هذه الأفكار البنيوية وذلك في مطلع السبعينات ،فكان الناقد التونسي –حسين الواد في بحثه: البنية القصصية في رسالة الغفران أول نموذج نقدي بنيوي عربي، كما نجد كتاب (في البنية الإيقاعية للشعر العربي) 1974 لكمال أبي ديب[14].

---

[11] - ينظر: وائل سيد عبد الرحمن، تلقي البنيوية في النقد العربي، ص42.

[12]- ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 69-70.

[13]- ينظر: صلاح فضل، منهاج النقد المعاصر، ص 84.

[14]- ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 72- 73.

- كمال أبو ديب : جدلية الخفاء والتجلي 1979.
- زكريا إبراهيم : (مشكلة البنية) 1976.
- (نظرية البنائية في النقد الأدبي) 1978 لصلاح فضل [15].

-محمد بنيس (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة تكوينية) 1979.

- جمال شحيد(البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، منددا بفعالية وقيمة هذا المنهج[16].

-عبد الملك مرتاض وغيره من النقاد الجزائريين.

---

[15]- ينظر: صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 23.

[16]- ينظر: جمال شحيد، البنيوية التكوينية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ط1، 1982، ص 09.